ولاني الارض وماليس فيهن وذلك ان العلم تابع للموجود لا يتعلق به الا على ما هو
عليه فاذا كان الشي معدوما لم يتعلق به موجود فمن ثم كان انتفا العلم
بوجوده لانتفاء وجوده وعبر عن انتفاء وجوده بانتفا العلم بوجوده ويجوز
ان يكون على ظاهره وان الهاً غيره معلوما عنده ولكنه مظنون بدليل
قوله واني لاظنه من الكاذبين واذا ظنه كاذبا في اثباته الها غيره ولم يعلمه
كاذبا فقد ظن ان في الوجود الها غيره ولم يكن المخذول ظانا ظنا به
كاليقين بل عالما بصحة قول موسى لقول موسى عليه السلام له لقد علمت
ما انزل هولاء الا رب السموات والارض بصائر ثم تسبب عن جهله
قوله لوزيره معلما له صنعة الاجر لانه اول من عمله قال عمر رضي
الله تعالى عنه حين سافر الى الشام وراي القصور المشيدة بالاجر
ما علمت ان احدا بنا بالاجر غير فرعون فاوقد لي واضاف الايقاد اليه
اعلاما بانه لابد منه يا هامان وهو وزيره على الطين اي المتخذ لبنا ليصير
اجرا ثم تسبب عن الايقاد قوله فاجعل لي اي منه صرحا اي قصرا
عاليا وقيل منارة وقال الزجاج هو كل بناء متسع مرتفع لعلي
اطلع اي اتكلف الطلوع الى اله موسى الذي يدعو اليه فانه ليس
في الارض احد بهذا الوصف الذي ذكره فانا اطلبه في السما موهما
لهم بانه مما يمكن الوصول اليه وهو قاطع بخلاف ذلك ولكنه يقصد
المدافعة من وقت الى وقت قال اهل السير لما امر فرعون وزيره
هامان ببنا الصرح جمع العمال والفعلة حتى اجتمع خمسون الف بناء
من الاتباع والاجرا ومن يطبخ الاجر والجص وينجر الخشب ويضرب
المسامير فرفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان احد
من الخلق اراد الله تعالى ان يفتنهم فيه فلما فرغوا ارتقى فرعون فوقه
فامر بنشابة فضرب نحو السما فردت اليه وهي ملطخة دما فقال قد
قتلت اله السما وكان فرعون يصعد على البراذين فبعث الله جبريل
عليه السلام فضرب الصرح بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت منها
قطعة على عسكر فرعون فقتلت منهم الف الف رجل ووقعت
قطعة في البحر وقطعة في الغرب ولم يبق احد ممن عمل فيه بشي الا
هلك ثم زادهم شكا بقوله موكدا لاجل دفع ما استقر في الانفس
من صدق موسى عليه السلام واني لاظنه اي موسى عليه السلام
من الكاذبين اي دابه ذلك وقد كذب هو ولبس ووصف اهل ذلك
الزمان بصفة نفسه العريقة في العدوان واستكبر اي واوجد
الكبر بغاية الرغبة فيه هو بقوله هذا الذي صدهم به عن السبيل
وجنوده باتصادهم لشدة رغبتهم في الكبر على الحق والاتباع للباطل

الارض

في الارض اي ارض مصر قال البقاعي ولعله عرفها اشارة الى انه لو قدر على
ذلك في غيرها فعل بغير الحق اي بغير استحقاق قال البقاعي
والتعبير بالتعريف يدل على ان التعظيم بنوع من الحق ليس بكبر وان كانت
صورته كذلك واما تكبره سبحانه فهو بالحق كله قال صلى
الله عليه وسلم فيما حكاه عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني
واحدا منهما القيته في النار وظنوا اي فرعون وجنوده ظنا بنوا
عليه اعتقادهم في اصل الدين الذي لا يكون الا بالقاطع انهم الينا
اي الى حكمنا خاصة الذي يظهر عند انقطاع الاسباب لا يرجعون
بالنشور وقرا حمزة ونافع والكسائي بفتح اليا وكسر الجيم والباقون
بضم اليا وفتح الجيم ولما تسبب عن ذلك اهلاكهم قال تعالى
فاخذناه وجنوده اي كلهم اخذ قهر ونقمة وذلك علينا هين واشار
تعالى الى احتقارهم بقوله تعالى فنبذناهم اي طرحناهم في اليم اي
البحر المالح فغرقوا فكانوا على كثرتهم وقوتهم كحصيات صغار قذفها
الرامي لشديد الدرء من يده في البحر ونحو ذلك قوله تعالى والقينا
فيها رواسي شامخات وقوله تعالى وحملت الارض والجبال فدكتا دكة
واحدة ولما تسبب هذه الايات من العلوم ما لا يحيط به الفهوم
قال تعالى فانظر اي ايها المتعرف للايات الناظر فيها نظر اعتبار
كيف كان عاقبة اي اخر امر الظالمين حين صاروا الى الهلاك
تحذر قومك عن مثلها وفي هذا اشارة الى ان كل ظالم تكون
تكون عاقبته هكذا ان صابره المظلوم المحق ورابطه حتى يحكم الله
وهو خير الحاكمين ولما كان من سن سنة حسنة كان له اجره
واجر من عمل بها الى يوم القيمة قال الله تعالى ومن سن سنة سيئة
كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة قال الله تعالى
وجعلناهم اي في الدنيا ايمة اي قدوة للضلال بالحمل على
الاضلال وقيل بالتسمية كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم
عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الصارفة عنه يدعون اي
يوجدون الدعاء لمن اعتز بحالهم فضل بضلالهم الى النار اي
الى موجباتها من الكفر والمعاصي واما ايمة الحق فانهم يدعون الى
موجبات الجنة من فعل الطاعات والنهي عن المنكرات جعلنا الله
واحبابنا معهم بمحمد واله ولما كان الغالب من حال الايمة النصرة وكان
قد اخبر عن خذلانهم في الدنيا قال تعالى ويوم القيمة الذي هو
يوم التغابن لا ينصرون اي لا يكون لهم نوع نصرة تدفع العذاب
عنهم واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة اي طردا عن الرحمة ودعا عليهم

Copyright ... University